

الملة الإبراهيمية: دراسة لغوية ومفاهيمية
The Mullah Ibrahimy : a linguistic and conceptual study

مولاي إسماعيل الناجي
أستاذ بجامعة ابن زهر – المملكة المغربية
Dr.moulay.ismail.naji@gmail.com

تاريخ النشر	تاريخ القبول	تاريخ الارسال
2019/09/23	2019/07/26	2019/07/18

الملخص:

إن مصطلح "الملة الإبراهيمية" من أهم المصطلحات في الدراسات الدينية وبالأخص العقديّة، لذلك كان تحقيق معناه أجدى، وسبيله تتبع مفرداته في اللغة من ينابيعها الأصلية التي لم تختلط بلغات أخرى، والوقوف على مختلف تداولاتها في استعمالاتها المختلفة، ثم استثمارها لبناء موارد المصطلح في النصوص القدسية بناء مصطلحيا على ضوء التفاسير والمعاجم المصطلحية، وكذا تفريقه عما يشابهه في المعنى كالدين، إذ بيان الفروق من أوكّد المباحث في هذه الدراسة المفاهيمية.

الكلمات المفتاحية: الملة الإبراهيمية؛ الدين، الشريعة ؛ دلالة الملة ؛ إبراهيم

Abstract

The term mullah ibrahimi is one of the most important terms in the religious studies namely the cerdential ones. Therefore, it is important to achieve its meaning and follow its vocabulary items in the original language that was not mixed with other languages. It is also vital to stop at its different trades in different uses, and then invest it to build term ressources in the sacred texts by constructing terminologies on glossary and glossary of terms; finally differentiate it from what is similar in meaning as religion because the statement of these differences is very essential in this conceptual study.

مقدمة:

الحمد لله جاعل المرء بأصغريه قلبه ولسانه، والمتكلم بأجمليه فصاحته وبيانه، أحمدته تعالى أن سهل لنا من العلم ما شاء، وقرب لنا من وسائله ما ناء، وأنزل على نبينا من كلامه ما أراد، فأعلمنا بالحق وبه أشاد، وكره إلينا الباطل ومنه أعاد، وأصلي وأسلم على خير الوري، ومن تبعه من صحبه تحت الثرى، وعلى آله الطيبين الطاهرين، وصحبه الكرام الصادقين، ومن نهج نهجهم إلى يوم الدين.

أما بعد، فإن الله برحمته وطوله، وقوته وحوله، ضمن بقاء طائفة من هذه الأمة على الحق، لا يضرهم من خذلهم حتى يأتي أمر الله عز وجل وهم على ذلك، وأرسل لرشادهم أنبياءهم، وأورث علمهم علماءهم، وجعل الناس يقتدون بأئمتهم وفقهائهم، وترك هذه الأمة مع علمائها كالأمم الخالية مع أنبيائها، وأظهر في كل طبقة من فقهاء أئمة يقتدى بهم ويُنْتَهَى إلى رأيهم، وقِيض في سلف هذه الأمة أئمة من الأعلام، مهّد بهم قواعد الإسلام، وأوضح بهم مشكلات الأحكام، فكان اتفاقهم حجة قاطعة، وفي اجتهاداتهم رحمة واسعة، تحيى القلوب بأخبارهم، وتحصل السعادة باقتفاء آثارهم، ثم اختص منهم نفرا أعلى قدرهم ومناصبهم، وأبقى ذكرهم ومذاهبهم، فعلى أقوالهم مدار الأحكام، وبمذاهبهم يفتي فقهاء الإسلام .

وإن مما يعرض من ذلك في الأذهان مصطلح "الملة الإبراهيمية" ، الذي يحتاج إلى ضبط وحسن مقال، ولا يتأتى ذلك إلا باستخبار اللغة من معاجمها، ورد مرامي ألفاظها إلى أصولها، ثم سبر المعاني الاصطلاحية، وتفريد ما عليه المعول، وقد لا يطرد ذلك، بحيث يكتفى بالمعنى المتداول كما في اسم العلم "إبراهيم".

ولما كانت الملة الإبراهيمية مركبا إسناديا، فلتعريفه عند الباحثين طريقان، أحدهما: تعريفه بتعريف حديه، والثاني تعريفه باعتباره لقباً، وسأسلك الأول لأصل إلى الثاني، وهكذا اتسق برنامج البحث في مفهوم الملة الإبراهيمية من مبحثين هما:

المبحث الأول: تعريف قيد الملة في اللغة والاصطلاح والفرق بينها والدين

المبحث الثاني: تعريف قيد الإبراهيمية في اللغة والاصطلاح

المبحث الأول: تعريف قيد الملة في اللغة والاصطلاح والفرق بينها والدين

المطلب الأول: تعريف قيد الملة في اللغة والاصطلاح

الفرع الأول: المرجع اللغوي

إن الملة في مراجعها اللغوية تعددت معانيها بتعدد اشتقاقاتها الكثيرة، وسأجملها على النحو الآتي:

- ✓ الملة: الرماد والجمر، ومللت الخبزة أملها؛ فهي مملولة، يقال: أطعنا خبز ملة وخبزه مليلا، ولا تقل: "أطعنا ملة"، لأن الملة: الرماد الحار أو الحفرة نفسها¹.
- ✓ وقال أبو إسحاق: الملة في اللغة: السنة والطريقة، ويرجع سبب أخذ الملة² من الملة لأنه يؤثر في مكانها كما يؤثر في الطريق، ويضيف قائلا: «وكلام العرب إذا اتفق لفظه فأكثره مشتق من بعض»، وفي الأساس: ومن المجاز: الملة: الطريق المسلوكة ومنه: "ملة إبراهيم عليه السلام خير الممل".

فأبو إسحاق يجعل الملة من الملة بمعنى السنة والطريقة، إذ الملة يؤثر في مكانها كما يؤثر في الطريق، ويستدل أبو منصور الأزهري (ت-370هـ) لذلك بقولهم: طريق ممل أي مسلوكة معلوم.

وإن كنت لم أقف على موافق أو معارض لهذا الاشتقاق غير ما نقله ابن منظور حيث نقل نص التهذيب السابق، ويؤيد أبا إسحاق والأزهري فيما ذهبوا إليه قولهم: "الملة: الرماد الحار والجمر" وقيل: "الحفرة التي تحتفر للخبز"، ولاشك أن هذا يؤثر في مكانها فتبقى معلما واضحا يدل عليها.

1- محمد بن السيد حسن: الرموز على الصحاح، تح. محمد علي عبد الكريم الرديني، دار أسامة-دمشق، 1986، ط1، 38/2.

2- أي الموضع الذي يختبئ فيه.

ويرد هذا الاشتقاق الباحث "حمدي عبد الفتاح" بالدليل فيقول: «لكننا لو سلمنا باشتقاق الملة من الملة كان اشتقاق حسي من معنوي، أما لو جعلناها مأخوذة من قولهم: "طريق ممل: سلك حتى صار معلماً"، فإن هذا يكون أرجح وأولى، ويكون الاشتقاق اشتقاق حسي من حسي»³.

✓ والملة: الدية والجمع ملل⁴، ومنه حديث عمر رضي الله عنه أنه قال: «ليس على عربي ملل⁵»، وأنشد أبو الهيثم:

غنائم الفتيان في يوم الوهل **** ومن عطايا الرؤساء في الملل⁶.

- ✓ والمليل: التراب الحار، وقد أملته: أي أحرقته.
- ✓ وطريق ممل: أي مسلك حتى صار معلماً، ومليل: مثله. وأمل الطريق.
- ✓ الملة: عرق الحمى كالملال بالضم.
- ✓ والملة بالضم: الخياطة الأولى قبل الكف وقد مل الثوب يمله ملا⁷.
- ✓ «ومن معكوسه: مللت الشيء أمله ملالاً وملالة ومله ملالاً، إذا سنمه»⁸.

3- حمدي عبد الفتاح السيد بدران: النقد اللغوي في تهذيب اللغة للأزهري، وهي رسالة مقدمة لنيل درجة التخصص (الماجستير) بإشراف الأستاذ الدكتور: محمد حسن حسن جبل، من جامعة الأزهر الشريف، كلية اللغة العربية بالمنصورة، قسم أصول اللغة 1420هـ/1999م .

4- محمد بن محمد بن عبد الرزاق الحسيني، أبو الفيض، الملقب بمرتضى، الزبيدي: تاج العروس من جواهر القاموس: (مادة ملل) [421/30] .

- أبو منصور محمد بن أحمد الأزهري (ت370هـ): تهذيب اللغة، تح. محمد عوض مرعب، دار إحياء التراث العربي-بيروت، ط1-2001م، (مادة ملل) [253/15] .

5- الصواب في هذا الحديث: «ليس على عربي ملك» بدل "مل" كما ذهب إلى ذلك الزبيدي والأزهري في معجميهما أعلاه، إذ أن علماء المحدثين يروونه ويثبتونه بلفظ ملك، ونص الحديث أن عمراً رضي الله عنه قال: «ليس على عربي ملك، ولسنا بنازعين من يد رجل شيئاً أسلم عليه، ولكننا نقومهم الملة على آباتهم خمسا من الإبل» .

- وتخرجه: السنن الكبرى للبيهقي: كتاب السير- باب ما يجري عليه الرق (رح 17848)/ مصنف ابن أبي شيبة: كتاب السير، باب ما قالوا في سبي الجاهلية والقراية.

6- المرتضى الزبيدي، أبو الفيض: تاج العروس من جواهر القاموس: (مادة ملل).

7- تاج العروس من جواهر القاموس: (مادة ملل).

8- ابن دريد: جمهرة اللغة، باب حرف اللام وما بعده: 60/1.

✓ وملة رسول الله صلى الله عليه وسلم: «الأمر الذي أوضحه، والطريقة، والسنة، وامتثل الرجل: أخذ في ملة الإسلام، وهو يمل ملته»⁹، والملة: «النحلة التي ينتحلها الإنسان من الدين. ووجد فلان ملة وملا لا، وهو عرواء الحمى، وللميم واللام مواضع في التكرير»¹⁰، وتمثل وامتثل: دخل فيها (أي في الملة)، كتسنن واستنن من السنة¹¹.

فالملة بهذا المعنى الأخير هي: «الشرعية أو الدين كلمة الإسلام والنصرانية وهي اسم لما شرع الله لعباده بوساطة أنبيائه ليتوصلوا به إلى السعادة في الدنيا والآخرة والدية، وتجمع على ملل»¹²، «وتملّ وامتّل: دخل في الملة»¹³.

وكلام المصنف يشير إلى ترادف الثلاثة، والقول بالترادف يغيب معه الوقوف على الفروق اللغوية الدقيقة، والمعاني التي لا يستبينها إلا الضليع في اللغة الذي أوتي حظاً من هذا العلم الوافر، ولا أريد الخوض هنا في مسألة تحدث عنها كثير من اللغويين واللسانيين، ألا وهي مسألة القول بالترادف أو عدمه، فمقام ذاك غير هذا المقام، وهو فصل في بابه¹⁴.

9- صاحب بن عباد: المحيط في اللغة (453/2) .

10- ابن دريد: جمهرة اللغة، باب حرف اللام وما بعده: 60/1.

- شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد لابن أبي الحديد، تح. محمد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية عيسى البابي الحلبي وشركاؤه، (ج1) .

11- تاج العروس من جواهر القاموس (مادة ملل) .

12- إبراهيم مصطفى، أحمد الزيات-حامد عبد القادر-محمد النجار: المعجم الوسيط، دار الدعوة، تح. مجمع اللغة العربية: (886/2)، باب الميم.

13- أبو الحسن علي بن إسماعيل بن سيده المرسى (ت458هـ): المحكم والمحيط الأعظم، تح. عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية-بيروت، 2000م، (379/10).

14- إن قضية الترادف في اللغة العربية هي قضية مهمة وحيوية بمكان، في ظل توسع اللغة الدائم، الذي يجعل المهم بأمير اللغة وتطور دلالتها على مفترق طريقين ممتدين منذ عصور سلفت .

فهي ليست قضية حديثة، بل نجدها مبسوبة في كتب أرباب اللغة، الذين خصوا حياتهم وجهده لهذه الصنعة، وصدروا بها أوائل كتبهم، ولقد أفرد لها الإمام السيوطي في كتابه المزهرة صفحات ذوات العدد، وغيره من علمائنا المتقدمين، فجذورهما إذن تمتد إلى أغوار الزمن الأول الذي نشأت فيه هذه اللغة؛ وهي بين قائل بالتوقيف أو الاصطلاح، وعليه يثور الخلاف بين اللغويين هل يوجد ترادف في اللغة بين منكر ومثبت؟، ولكل فريق حججه وأجوبته، وإذا سلمنا بوجوده فهل يتصور في القرآن الكريم؟ فثار بشأنه أيضاً خلاف خلاصته أن القرآن لا ترادف فيه لا بالمعنى الكلمي ولا بالمعنى

وما يعيننا من ذلك أنه -كيفما كان الحال- لا ينبغي لنا إغضاض الطرف عن تلك المدلولات التي تحملها الألفاظ التي يظن في النظر الأول أنها مترادفة، لكن سرعان ما تتجلي بعد إنعام النظر أن لكل منها ما يفرقها عن أختها، وإن كان ينظمها خيط رفيع، هو ما يطلق عليها بالمعنى الأم، الذي تتولد عنه باقي المعاني.

✓ الملة هي: «الأمة، والأمة، وحكى قوله تعالى: ﴿إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَىٰ أُمَّةٍ﴾¹⁵ قرئ بـ"إمة"، والأمة: الاستقامة، والأمة: الرجل الصالح كقوله: ﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾¹⁶ والأمة: القرن على دين واحد، والأمة: الجامعة، وكل صنف من شيء أمة¹⁷.

✓ ومال الرجل يمول ويمال مولا ومؤولا، إذا صار ذا مال، وتمول مثله، وموله غيره.

✓ وزعم قوم أن المول العنكبوت، الواحدة مولة، وأنشد:

القصصي. أعني به الرد على من زعم تكرار السور بلا زيادة مما يدخلها على باب "الترادف الموضوعي القصصي". وهذا من أعظم الإجحاف في حق القرآن ودليل على عدم تدبره وفهمه.

ونستنتج من هذا كله إلى أن اختلاف العلماء عائد إلى حقيقة معنى الترادف: هل يعني التشابه التام في كل الأحوال؟ أم هل يعني فقط التشابه النسبي الذي يمكن فيه أن تستعمل لفظة مكان أخرى؟.

فإذا كان الأول: فالتشابه مستحيل بين كلمتين، بل إن بعض علماء اللغة يستبعد أن تشبه الكلمة نفسها في موضعين مختلفين.

أما إذا قبلنا بالتعريف الثاني، فإننا لن نعدم عددا من الألفاظ التي يمكن أن تحل محل أخرى في سياقات معينة، فنعدها من الترادف، وعلى العموم فالترادف لا يدل على التطابق بل على التقارب، وقد ورد في القرآن الكريم قوله تعالى في سورة النمل: ﴿وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا الْوَعْدُ إِن كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾، قُلْ عَسَىٰ أَنْ يَكُونَ رَدِفَ لَكُمْ بَعْضُ الَّذِي تَسْتَعْجِلُونَ [الآيتان: 71 و 72]، ومعنى رَدِفَ هنا اقترب ودنا، أي أن الترادف يعني التقارب ولا يعني التوافق أو التساوي.

فالراجح إذن إن شاء الله: أن لا ترادف بين الكلمات إذا اختلفت مبانيها، والقاعدة المشهورة: "أن الزيادة في المبنى تدل على الزيادة في المعنى".

15- سورة الزخرف: جزء من الآية 23.

16- سورة النحل: جزء من الآية 120.

17- وفي الحديث النبوي الشريف عن عبد الله بن مغفل قال: قال عليه السلام: «لولا أن الكلاب أمة من الأمم لأمرت بقتلها كلها، فاقتلوا منها كل أسود بهيم» سنن الترمذي: كتاب الأحكام والفوائد- باب ما جاء في قتل الكلاب (رح 1486).

* حَامِلَةٌ دَلْوَى لَا مَحْمُولَةَ *** مَلَأَى مِنَ الْمَاءِ كَعَيْنِ الْمُؤَلَّةِ¹⁸

✓ ومنه: أَمَلَّ عليه الكتاب.

✓ ومنه: ململه المرض فتململ.

✓ وكحله بالملمول: بالمكحال¹⁹.

﴿فأصل الملة في العربية المل وهو أن يعدو الذئب على سن ضربا من العدو، فسميت الملة ملة لاستمرار أهلها عليها، وقيل أصلها التكرار من قولك طريق مليل إذا تكرر سلوكه حتى توطأ، ومنه الملل وهو تكرار الشيء على النفس حتى تضجر، وقيل الملة مذهب جماعة يحمي بعضهم لبعض عند الأمور الحادثة، وأصلها من المليلة وهي ضرب من الحمى، ومنه الملة موضع النار وذلك أنه إذا دفن فيه اللحم وغيره تكرر عليه الحمى حتى ينضج²⁰.

﴿ونجمل أهم معاني اللغة فيما يلي ذكره:

✓ من أملت الكتاب: قال الألويسي (ت1270هـ): «والملة في الأصل اسم من أملت الكتاب بمعنى أملتته»²¹.

✓ الدين والشرعة²²: ومنه قول الرسول عليه السلام: «لا يتوارث أهل ملتين»²³.

✓ معظم الدين وجملة ما يجيء به الرسل²⁴: ومنه قوله ﷺ: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ وَاتَّبَعَ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَاتَّخَذَ اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا﴾²⁵.

18- الصحاح: إسماعيل بن حماد الجوهري (ت393هـ) تح. أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين- بيروت، ط4، 1407هـ/1987م، (مادة مول) [1821-1820/5].

- أبو الحسين أحمد بن فارس: معجم مقاييس اللغة، تح. عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، 1399هـ/1979م، (مادة موه).

19- أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري جار الله: أساس البلاغة: (مادة ملل).

20- معجم الفروق اللغوية (1/509-510).

21- الراغب: المفردات: ص471 / الألويسي: روح المعاني: 488/1.

22- الفيروز آبادي: القاموس المحيط: 53/4، والقرطبي: الجامع لأحكام القرآن، دار الكتب العلمية-بيروت، 1413هـ/1993، دط: 132/2.

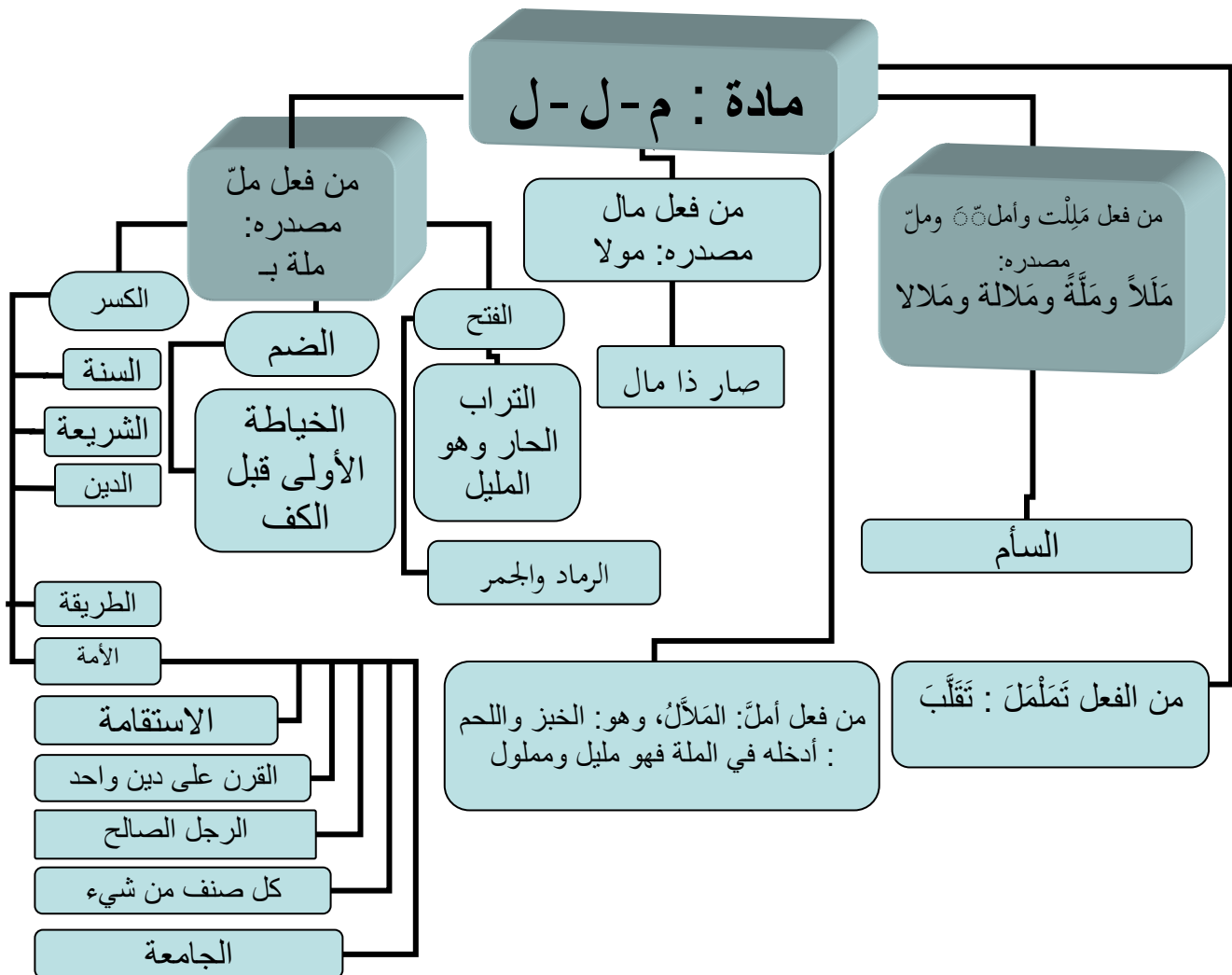
23- سنن أبي دواد: كتاب الفرائض، باب هل يرث المسلم الكافر، رح 2523.

- ✓ الطريقة المعلومة، ومنه قوله سبحانه: ﴿وَمَنْ يَرْغَبُ عَنْ مِلَّةِ إِبْرَاهِيمَ إِلَّا مَنْ سَفِهَ نَفْسَهُ﴾²⁶، يقول الحافظ ابن كثير (ت774هـ) مفسراً: «أي عن طريقته ومنهجه»²⁷، ومنه قوله ﷺ: ﴿إِنِّي تَرَكْتُ مِلَّةَ قَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾²⁸، وعن هذه يقول: «أي هجرت طريق الكفر والشرك»²⁹، وقال الإمام البغوي (ت516هـ): «والملة هي الطريقة»³⁰.
- ✓ الدية: ومنه قول عمر رضي الله عنه: «ليس على عربي ملك، ولسنا بنازعين من يد رجل شيئاً أسلم عليه ولكننا نقومهم الملة على آبائهم خمساً من الإبل»³¹، فالملة: «الدية وجمعها ملل»³².
- ✓ الرماد، ومنه: "الرماد الحار الذي يحمى ليُدْفَنَ فيه الخُبْرُ لِيَنْضَجَ"، ومنه الحديث «كأنما تُسْفَهُمُ المَلَّ»³³.

وتأسيساً على المعروض يظهر لنا ملياً سعة لفظ "الملة" وتشعب معانيها، وسألخصها في الخطاطة التالية:

- 24- النهاية في غريب الحديث والأثر: أبو السعادات المبارك بن محمد الجزري، المكتبة العلمية-بيروت، 1399هـ/1979م، تج. د. طاهر أحمد الزاوي/ محمود محمد الطناحي، باب الميم مع اللام (790/4).
- 25- سورة النساء: الآية 125.
- 26- سورة البقرة: جزء من الآية 130.
- 27- تفسير القرآن العظيم: الآية 130 من سورة البقرة 455/1.
- 28- سورة يوسف: جزء من الآية 37.
- 29- تفسير القرآن العظيم: الآية 37 من سورة يوسف [389/4].
- 30- معالم التنزيل: الآية 37 من سورة يوسف [143/1].
- 31- سنن البيهقي الكبرى، تج. محمد عبد القادر عطا، مكتبة دار الباز- مكة المكرمة، 1414 - 1994، باب من يجري عليه الرق، رح (17848).
- 32- النهاية في غريب الحديث والأثر، (باب الميم مع اللام) (790/4).
- غريب الحديث: حمد بن محمد بن إبراهيم الخطابي البستي، تج. عبد الكريم إبراهيم العزباوي أبو سليمان، جامعة أم القرى-مكة المكرمة، 1402هـ، (118/2).
- 33- محمد بن إسماعيل أبو عبد الله البخاري الجعفي: الأدب المفرد، تج. محمد فؤاد عبد الباقي، دار البشائر الإسلامية-بيروت، ط3، 1989/1409، باب فضل صلة الرحم، (ص32).

خطاظة توضيحية رقم 1



الفرع الثاني: المرجع الاصطلاحي:

أ-في النصوص المقدسة

1-التداول القرآني:

✓ ورد مادة "م-ل-ة" في القرآن الكريم ثلاث عشر مرة (13) على التفصيل التالي ذكره:

- بلفظ "الملة" عشرة مرات (10):

0 سورة البقرة مرتان³⁴.

0 سورة آل عمران مرة³⁵.

0 سورة النساء مرة³⁶.

0 سورة الأنعام مرة³⁷.

0 سورة يوسف مرتان³⁸.

0 سورة النحل مرة³⁹.

0 سورة الحج مرة⁴⁰.

0 سورة "ص" مرة⁴¹.

34- ﴿وَمَنْ يَرْغَبُ عَنْ مِلَّةِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّا مِنْ سَفَةِ نَفْسِهِ﴾ [سورة البقرة: جزء من الآية 130] .

- ﴿قُلْ بَلْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ [سورة البقرة: جزء من الآية 135] .

35- ﴿قُلْ صَدَقَ اللَّهُ فَاتَّبِعُوا مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ [سورة آل عمران: الآية 95] .

36- ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ وَاتَّبَعَ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَاتَّخَذَ اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا﴾ [سورة النساء: الآية 125] .

37- ﴿قُلْ إِنِّي هِدَانِي رَبِّي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ دِينًا قِيمًا مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ [سورة الأنعام: الآية 161] .

38- ﴿إِنِّي تَرَكْتُ مِلَّةَ قَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ﴾ [سورة يوسف: جزء من الآية 37].

- ﴿وَاتَّبَعْتُ مِلَّةَ آبَائِي إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ﴾ [سورة يوسف: جزء من الآية 38] .

39- ﴿ثُمَّ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ أَنْ اتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ [سورة النحل: 123] .

40- ﴿وَمَا جَعَلْ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ مِلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ﴾ [سورة الحج: جزء من الآية 78] .

41- ﴿مَا سَمِعْنَا بِهَذَا فِي الْمِلَّةِ الْآخِرَةِ إِنْ هَذَا إِلَّا اخْتِلَاقٌ﴾ [سورة ص: الآية 7]

- وردت معرفة بـ"ال" ﴿مَا سَمِعْنَا بِهَذَا فِي الْمِلَّةِ الْآخِرَةِ إِنْ هَذَا إِلَّا اخْتِلَاقٌ﴾⁴².
- بلفظ "ملتكم" مرة واحدة: ﴿قَدْ افْتَرَيْنَا عَلَى اللَّهِ كَذِبًا إِنْ عُدْنَا فِي مِلَّتِكُمْ﴾⁴³.
- بلفظ "ملتهم" مرتين: في سورتي البقرة والكهف⁴⁴.

والملاحظ بعد هذا الجرد والإحصاء أن لفظ الملة متى أضيف إلى ضمير متصل لم تكن ملة الحق، بل ملة الباطل، ووردت ثلاث مرات بهذا القيد.

2- في التداول التوراتي:

ووردت 3 مرات منها: «أَسْرَعَ إِبْرَاهِيمُ إِلَى الْخِيْمَةِ إِلَى سَارَةَ، وَقَالَ: أَسْرِعِي بِثَلَاثِ كَيْلَاتٍ دَقِيقًا سَمِيذًا، اعْجِنِي وَاصْنَعِي خُبْزَ مِلَّةٍ» [تك 18: 6]، وأيضاً في الخروج 12: 39، وهوشع 7: 8.

ب- في الاصطلاح:

1- مع المعاجم المصطلحية

عرف الملة أبو البقاء الكفوي⁴⁵ بأنه هي: «اسم ما شرعه الله لعباده على لسان نبيه ليتوصلوا به إلى أجل ثوابه والدين مثلها،...[ويضيف] والملة: الطريقة أيضاً، ثم نقلت إلى أصول الشرائع من حيث إن الأنبياء يعلمونها ويسلكونها ويسلكون من أمروا بإرشادهم بالنظر إلى الأصل»⁴⁶.

42- سورة ص: الآية 7 .

43- سورة الأعراف: 89 .

44- ﴿وَلَنْ تَرْضَى عَنْكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصَارَى حَتَّى تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ﴾ [سورة البقرة: جزء من الآية 120].

- ﴿إِنَّهُمْ إِنْ يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ يَرْجُمُوكُمْ أَوْ يُعِيدُوكُمْ فِي مِلَّتِهِمْ وَلَنْ تُفْلَحُوا إِذَا أُنْذِرُوا﴾ [سورة الكهف: الآية 20] .

45- أبو البقاء أيوب بن موسى الحسيني الكفومي: الكليات، فصل الدال(694/1)، تح. عدنان درويش- محمد المصري، مؤسسة الرسالة-بيروت، 1419هـ/1998م.

46- يضيف قائلاً: «وبهذا الاعتبار لا تضاف إلا إلى النبي الذي تستند إليه، ولا تكاد توجد مضافة إلى الله تعالى، ولا إلى أحاد أمة النبي، ولا تستعمل إلا في جملة الشرائع دون آحادها، فلا يقال ملة الله ولا ملتي ولا ملة زيد، كما يقال دين الله وديني ودين زيد، ولا يقال الصلاة ملة الله، والشرعية تضاف إلى الله والنبي والأمة» [الكليات: 694/1].

ويعرفها المناوي: «الملة ما يدعو إليه هدى العقل المبلغ عن الله توحيده من ذوات الحنيفيين»⁴⁷.

هكذا تكون الملة قد تردد فيها الإمام الكفوي بين كونها الشريعة التي شرعها الله تعالى لعباده على لسان نبيه ليعبدوه، وكونها طريقة متبعة من قبل الأنبياء. في حين قصرها الإمام المناوي على الحنيفيين.

2- مع التفاسير:

قال الراغب (ت502هـ) هي: «اسم لما شرعه الله لعباده على لسان أنبيائه ليتوصلوا به إلى جواره»⁴⁸.

فالراغب بتعريفه هذا يقصر الملة على ما كان حقا من عند الله، يتقرب الدائنون به زلفى إلى جوار العزيز الغفار، وهو بهذا يميز الملة عن الدين الذي يكون حقا كما يكون باطلا، ومنه ينسب إلى البشر أيضا ﴿لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ﴾⁴⁹، وسوف نرى فيما بعد أن الملة ترد في القرآن بمعنى الدين وغير الحق.

عرفها الشيخ عبد الحق بن عطية (ت541هـ)⁵⁰ بأنها: «الدين والشريعة»، ثم فصل فقال: هي «مجموع عقائد وأعمال يلتزمها طائفة من الناس يتفقون عليها وتكون جامعة لهم كطريقة يتبعونها»، ولمنزعه اللغوي فإنه يعرفها بأوجهها المحتملة حسب الاشتقاق، يقول: «يحتمل أنها مشتقة من أمل الكتاب، فسميت الشريعة ملة لأن الرسول أو واضع الدين يعلمها للناس ويمثلها عليهم، كما سميت دينا باعتبار قبول الأمة لها وطاعتهم وانقيادهم».

نلاحظ أن الإمام ابن عطية لم يعن بالفروق الدقيقة بين الدين والشريعة والملة، بل ذهب إلى أنها من قبيل المترادفات، وأنها على التماهي في الحقيقة لا على التباين والتنافي.

47- التوقيف على مهمات التعاريف: محمد عبد الرؤوف المناوي، تح. د. محمد رضوان الداية، دار الفكر المعاصر، دار الفكر-بيروت، دمشق: ط 1، 1410. ص 674 فصل اللام .

48- الراغب: مفردات غريب القرآن (الدين: 253 والملة 717)، ص 471.

49- سورة الكافرون: الآية 6.

50- ابن عاشور: التحرير والتنوير: 399/1.

ويعرفها الإمام القرطبي (تـ671هـ) بأنها: «اسم لما شرعه الله تعالى في كتبه وعلى السنة رسله»⁵¹، وقريبا من هذا التعريف جاء في المعجم الوسيط: «اسم لما شرعه الله تعالى لعباده بوساطة أنبيائه ليتوصلوا به إلى السعادة في الدنيا والآخرة»⁵². وعرفت الموسوعة الميسرة بأنها: «جملة الأصول والعقائد التي يبلغها كل رسول أو نبي على قومه خاصة قبل بعثة النبي»⁵³.

وهنا يطرح إشكال مفاهيمي، هل مصطلح الملة مقصور على ما سبق الدين الخاتم؟ هل يصح قولنا: الملة المحمدية؟ فهذا يحتاج إلى البحث عن دلالات لفظ الملة ويوجب علينا تتبع السياقات القرآنية، خاصة وأن كثيرا من علمائنا⁵⁴ يفسرون الملة بالدين.

والحق أن القرآن الكريم أطلق لفظ الملة على الدين، كان حقا أم كان باطلا:
فمن إطلاقاتها على الدين الحق: قوله تعالى: ﴿قُلْ إِنِّي هَدَانِي رَبِّي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ دِينًا قِيمًا مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾⁵⁵.
ومن إطلاقاتها على الدين الباطل الآية السابقة: ﴿إِنِّي تَرَكْتُ مِلَّةَ قَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ﴾⁵⁶.

ويرى الدكتور ناصر القفاري أن: «الملة إذا دخلت عليها "ال" الاستغرافية فهي مخصوصة بالدين الذي شرعه الله وأنزله على أنبيائه، فإذا تجردت من القرائن فهي بحسب ما تضاف إليه»⁵⁷، وهذا صحيح، فمتى جردت من "ال" دخلها الاحتمال، وألحت ضرورة الاستفصال.

51- الجامع لأحكام القرآن: 93/2.

52- المعجم الوسيط: 887/2.

53- الموسوعة الميسرة: 1152/2.

54- ابن منظور: لسان العرب، دار صادر-بيروت، ط3، 1414هـ-1994م، (مادة ملل، 628/11).

- مختار الصحاح للرازي: (ص547)، والقاموس المحيط (53/4)، والتعريفات للجرجاني(ص90)، وكشاف اصطلاحات الفنون للتهانوي (148/4)، والنهاية لابن الأثير(790/4).

55- سورة الأنعام: الآية 161.

56- سورة يوسف: جزء من الآية 37.

57- مقدمة في الملل والنحل: د. ناصر القفاري، ص7.

المطلب الثاني: الفرق بين الملة والدين

قبل بيان أهم الفروق بين الملة والدين، رأيت من المفيد أن أتحدث ولو بطرف من الكلام عن الدين معرفاً إيّاه.

فكلمة الدين تكتنف معانٍ عديدة ومتشعبة، حتى يبدو لأول وهلة أنها متباعدة، بل متناقضة، فالدين هو: الملك، وهو الخدمة، وهو القهر، وهو الذل، هو الإكراه، وهو الإحسان، وهو العادة والعبادة، وهو السلطان، وهو الخضوع، وهو الإسلام والتوحيد، وهو اسم لكل ما يُعتقد أو لكل ما يُتعبّد به⁵⁸.

وتبعاً لهذا التباين والاختلاف في تحديد معنى الدين لغةً أثّرت مسألة عدم أصالة⁵⁹ هذه الكلمة في اللغة العربية، وأنها دخيلة من لغات أجنبية كالعبرية أو الفارسية. والمتصفح في اشتقاق هذه الكلمة ووجوه تصريفها يستشف من هذا الاختلاف الظاهر تقارباً شديداً، بل توافقاً وانسجاماً في جوهر المعنى، إذ يجد أن تنوع هذه المعاني مرده إلى ثلاثة مضامين تكاد تكون متصلة باعتبار أن الكلمة التي يُراد شرحها ليست كلمة واحدة، بل ثلاث كلمات، أو بعبارة أدق إنها تتضمن ثلاثة أفعال بالتناوب.

إن كلمة الدين تأتي مرة من فعل متعّد بنفسه: دانه يدينه، وأحياناً من فعل متعّد باللام: دان له، وتارة من فعل متعّد بالباء: دان به.

وباختلاف الاشتقاق يختلف المضمون الذي تعطيه العبارة، حسبما يلي ذكره:

1- إذا قلنا: دانه دينا قصدنا بذلك أنه ملكه، وساسه وقهره، وحاسبه، وجازاه وكافأه، فالدين هنا يأخذ معنى الجلال والملك والتصرف بما هو ميزة الملوك من الملك والتصرف، ومن ذلك:

58- لسان العرب: (مادة دين) [ج 2 ص 1044].

59- الفرس تزعم أن الدين لفظ فارسي، وتحتج بأنهم يجدونه في كتبهم المؤلفة قبل دخول العربية أرضهم بألف سنة، ويذكرون أن لهم خطأ يكتبون به كتابهم المنزل بزعمهم يسمى دين دوري، أي كتابه الذي سماه بذلك صاحبهم زرادشت... ونحن نجد للدين أصلاً واشتقاقاً صحيحاً في العربية، وما كان كذلك لا نحكم عليه بأنه أعجمي وإن صح ما قالوه، فإن الدين قد حصل في العربية والفارسية اسماً لشيء واحد على جهة الاتفاق، وقد يكون على جهة الاتفاق ما هو أعجب من هذا.

﴿مَالِكِ يَوْمَ الدِّينِ﴾⁶⁰، أي يوم المحاسبة والجزاء، وفي الحديث: «الكَيْسُ من دان نفسه وعمل لما بعد الموت»⁶¹ أي حكمها وضبطها، والديان الحكم القاضي.

2- وإذا قلنا: دان له بمعنى أطاعه وخضع له، فالدين هنا هو: الطاعة والخضوع والعبادة، كقوله تعالى: ﴿إِنَّا لَمَدِينُونَ﴾⁶²، أي مملوكون.

وواضح أن هذا المعنى الثاني ملازم للأول ومطووع له: دانه فدان له، أي أجبره على الطاعة فخضع وأطاع.

3- وإذا قلنا دان بالشيء بمعنى أنه اتخذ دينا ومذهباً أي اعتقده أو اعتاده أو تخلق به، فالدين هنا هو المذهب والطريقة التي يلتزم بها الشخص نظرياً أو عملياً، تقول العرب: ما زال ديني وديني أي عادتي، والمذهب النظري عنده هو عقيدته ورأيه الذي يعتنقه، ومن ذلك قولهم: "دين الرجل" أي وكلته إلى دينه، ولم أعترض عليه فيما يعتنقه.

4- تأكيداً على هذه المعاني اللغوية فإن كلمة الدين عند العرب تتضمن علاقة بين طرفين يعظم أحدهما الآخر ويخضع له، فإذا وصف بها الطرف الأول كانت خضوعاً وانقياداً، وإذا وصف بها الطرف الثاني كانت أمراً وسلطاناً، وحكما وإلزاماً، وإذا وُصف بها إلى طبيعة العلاقة بين الطرفين كانت هي الطريقة المنظمة لتلك العلاقة، أو الشكل الذي يمثلها.

إن محاولة تحديد مفهوم الدين لغة يضعنا أمام مجموعة مرادفات تصبُّ بشكل أو بآخر في نفس الاتجاه والذي ينصب حول لزوم الانقياد ففي الاستعمال الأول هو إلزام الانقياد، وفي الاستعمال الثاني هو التزام الانقياد، وفي الاستعمال الثالث هو المبدأ الذي يلتزم الانقياد له⁶³.

وتأكيداً لما سبق ذكره: فإن كلمة الدين بكل معانيها أصيلة في اللغة العربية، وإن ما ادَّعاه بعض المستشرقين من أنها دخيلة معربة عن العبرية أو الفارسية لا يعد صحيحاً.

60- سورة الفاتحة: الآية 4 .

61- البيهقي: السنن الكبرى: كتاب الجنائز - باب ما ينبغي لكل مسلم أن يستعمله (رح 6306) .

62- سورة الصافات: الآية 53.

63- لاستفصال: ينظر "الدين: بحوث ممهدة لدراسة تاريخ الأديان"، للشيخ د.محمد عبد الله دراز، دار المعرفة الجامعية-الإسكندرية، 1990م، ص23-25.

مع أن هذه التحليلات الاشتقاقية كلها تصبُّ في الاتجاه نفسه، وتقرُّ بأصالة المعنى في اللغة العربية، لكنها لا تشفي غليلاً في معرفة حقيقة لماهية الدين كما هي في عرف المتدينين، فالبون مازال شاسعاً برأي الدكتور عبد الله دراز بين المعنى اللغوي، والمعنى العرفي ذلك أنه ليس كل خضوع وانقياد يسمَّى في العرف تديناً، فخضوع العبد لسيده وطاعة الابن لأبيه وإكبار الخادم لمسؤوله لا يجسّد بأي معنى الدين الذي نعنيه، كما أنه ليس كل اتجاه أو مذهب يسمى ديناً.

فمن أشهر التعاريف للدين في الفكر الإسلامي وأكثرها تداولاً ما نسب إلى التهانوي في قوله: إنه «وضع إلهي سائق لذوي العقول باختيارهم إياه إلى الصلاح في الحال والفلاح في المال»⁶⁴، وهذا يشمل العقائد والأعمال، ويطلق على ملة كل نبي، وقد يخص بالإسلام كما في قوله تعالى: ﴿إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ﴾⁶⁵، ويضاف إلى الله عز وجل لصدوره عنه، وإلى النبي صلى الله عليه وسلم لظهوره منه، وإلى الأمة لتدينهم به وانقيادهم له»⁶⁶.

وأصل الدين: «الطاعة، ودان الناس مالكم أي أطاعوه، ويجوز أن يكون أصله العادة، ثم قيل للطاعة دين لأنها تعتاد وتوطن النفس عليها»⁶⁷.

ويمكن تلخيصه بأن الدين هو: "وضع إلهي يرشد إلى الحق في الاعتقادات وإلى الخير في السلوك والمعاملات".

ويبدو من التعريف الإسلامي للدين أنه حصر مسمى الدين في دائرة الأديان الصحيحة، المنبثقة من الوحي الإلهي، وهي التي تتخذ معبوداً واحداً هو الخالق المهيمن على كل شيء، فهذه الديانة الطبيعية التي تستند إلى العقل، والديانات الخرافية التي هي ثمرة الأوهام والأساطير، والديانات الوثنية التي تتخذ من التماثيل آلهة لا ينطبق عليها تعريف الدين مع أن القرآن الكريم قد

64- التهانوي: كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم، مكتبة لبنان ناشرون - بيروت، 1996، د ط (814/1).

65- سورة آل عمران: جزء من الآية 19.

66- كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم: التهانوي (814/1).

67- معجم الفروق اللغوية (509/1-510).

سماها كذلك، حيث يقول: ﴿وَمَنْ يَتَّبِعْ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾⁶⁸، ويقول: ﴿لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ﴾⁶⁹.

لقد أوضح الإمام الجرجاني بشكل جلي - الفرق بين الدين والملة، فهما عنده متحدان بالذات، مختلفان بالاعتبار، فإن الشريعة من حيث إنها تطاع تسمى ديناً، ومن حيث إنها تجمع تسمى ملة، ومن حيث إنها يُرجع إليها تسمى مذهباً، وقيل الفرق بين الملة والدين والمذهب: أن الدين منسوب إلى الله تعالى، والملة منسوبة إلى الرسول عليه السلام، والمذهب منسوب إلى المجتهد⁷⁰.

ويعمق الإمام أبو البقاء الكفوي بيان الفرق بينهما فيقول: «لكن الملة تقال باعتبار الدعاء إليه والدين باعتبار الطاعة والانقياد له [...]»، وهي من حيث إنها يطاع بها تسمى ديناً، ومن حيث إنها يجتمع عليها تسمى ملة، وكثيراً ما تستعمل هذه الألفاظ بعضها مكان بعض ولهذا قيل إنها متحدة بالذات ومتغايرة بالاعتبار، إذ الطريقة المخصوصة الثابتة عن النبي تسمى بالإيمان من حيث إنه واجب الإذعان، وبالإسلام من حيث إنه واجب التسليم، وبالدين من حيث إنه يجزى به، وبالملة من حيث إنه مما يملى ويكتب ويجتمع عليه، وبالشريعة من حيث إنه يرد على زلال كماله المتعطشون، وبالناموس من حيث إنه أتى به الملك الذي هو الناموس وهو جبريل⁷¹.

☞ فالملة طريقة وسنة، والدين اتباع وخضوع وتسليم.

☞ لقد تتبع أبو البقاء تقلبات الملة بين المعاني حسب إضافاتها وحالها ومآلها، وبين علائقها بكل من الدين والشريعة.

ثم قال الراغب يفرق بينها وبين الدين باعتبار الإضافة: «إن الملة لا تضاف إلا للنبي الذي تستند إليه، ولا تكاد توجد مضافة إلا إلى الله تعالى ولا إلى آحاد الأمة ولا تستعمل إلا في جملة

68- سورة آل عمران: الآية 85.

69- سورة الكافرون: الآية 6.

70- الجرجاني: التعريفات، تح. إبراهيم الأبياري، دار الكتاب العربي-بيروت: 2002، د ط، ص 90.

71- أبو البقاء أيوب بن موسى الحسيني الكفومي: الكليات، عدنان درويش-محمد المصري، مؤسسة الرسالة-بيروت،

1419هـ- 1998م، فصل الدال: (1/694) (2/327).

الشرائع دون آحادها»⁷²، ويضيف مفصلاً: «فيقال ملة الإسلام، ولا يقال ملة الصوم، أو الصوم ملة، لكن الدين يستعمل في جملة الشرائع وآحادها، فيقال دين الإسلام، والصوم دين، وحب الصحابة دين»⁷³.

وفرق بينهما بالقول: «إن الملة: اسم لجملة الشريعة، والدين: اسم لما عليه كل واحد من أهلها، يقال: فلان حسن الدين، ولا يقال: حسن الملة»⁷⁴.

فهو يميز بينهما باعتبار ما بينهما من عموم وخصوص غير مطلقين، ذلك أن الملة أعم من الدين باعتبارها شريعة عامة، والدين أخص لانطباقه على ما عليه كل واحد من أهل تلك الشريعة. ويضيف العسكري: «وإنما يقال هو من أهل الملة ويقال لخلاف الذمي الملي نسب إلى جملة الشريعة، فلا يقال له ديني، وتقول ديني دين الملائكة، ولا تقول ملتي ملة الملائكة، لأن الملة اسم للشرائع مع الإقرار بالله»⁷⁵.

ثم يفرق العسكري بين الشريعة والدين بقوله إن: «الشريعة هي الطريقة المأخوذة فيها إلى الشيء، ومن ثم سمي الطريق إلى الماء شريعة ومشرعة، وقيل الشارع لكثرة الأخذ فيه، والدين ما يطاع به، ولكل واحد منا دين، وليس لكل واحد منا شريعة، والشريعة في هذا المعنى نظير الملة إلا أنها تفيد ما يفيد الطريق المأخوذ ما لا تفيد الملة، ويقال شرع في الدين شريعة كما يقال طرق فيه طريقاً، والملة تفيد استمرار أهلها عليها، والدين ما يذهب إليه الإنسان ويعتقد أنه يقربه إلى الله وإن لم يكن فيه شرائع، مثل دين أهل الشرك، وكل ملة دين، وليس كل دين ملة، واليهودية ملة لأن فيها شرائع، وليس الشرك ملة»⁷⁶.

72- المفردات في غريب القرآن: ص471، / روح المعاني للألوسي: 488/1.

73- المفردات في غريب القرآن: ص471، / روح المعاني للألوسي: 488/1.

74- بكر أبي زيد وآخرون: معجم المناهي اللفظية ومعه فوائد في الألفاظ: (مادة إبراهيم: 208/1). والعسكري في كتابه "الفروق اللغوية".

75- العسكري: معجم الفروق اللغوية، تنظيم: الشيخ بيت الله بيات ومؤسسة النشر الإسلامي، ط1، 1412، الفرق 2061، (300-299/1).

76- العسكري: معجم الفروق اللغوية، (رقم الفرق 1201)، (300-299/1).

وقد يسمى كل واحد من الدين والملة باسم الآخر في بعض المواضع لتقارب معنييهما على سبيل التجوز، لا على التماهي والانطباق المطلق.

ومن الفروق بين الملة والدين أيضا أن "الدين" هو: الطريقة المخصوصة الثابتة من النبي عليه السلام، يسمى من حيث الانقياد له ديننا: ومن حيث إنه يملي ويبين الناس ملة، ومن حيث إنه يردّها الواردون المتعطشون إلى زلال نيل الكمال: شرعا وشرعية .

ومنها أيضا: أن الدين يضاف إلى الله وإلى النبي وإلى آحاد الأئمة، وأما الملة إلى النبي وإلى الأئمة: كذا حققه التفتازاني. ولا تكاد توجد مضافة إلى الله ولا إلى آحاد أمة النبي، فلا يقال: ملة الله، ولا ملتي، ولا ملة زيد كما يقال: دين الله، وديني، ودين زيد، ولا تضاف إلا إلى النبي، تسند إليه نحو [قوله تعالى]: ﴿فَاتَّبِعُوا مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ﴾⁷⁸⁷⁷.

يقول العسكري: «ويرده قول سيد الساجدين في دعاء مكارم الأخلاق: «واجعلني على ملتك أموت وأحيا»، وقوله عليه السلام في دعاء وداع شهر رمضان: «اللهم إنا نتوب إليك في يوم فطرنا الذي جعلته للمؤمنين عيدا وسرورا، ولأهل ملتك مجمعا ومحتشدا»، وقد جاء عن سلمة بن نعيم أنه قال: شهدت مع خالد بن الوليد يوم اليمامة، فلما شددنا على القوم جرحنا رجلا منهم، فلما وقع قال: "اللهم على ملتك وملة رسولك وإني برئ مما عليه مسيلمة"⁷⁹»⁸⁰.

حيث أضاف الرسول صلى الله عليه والسلام الملة إلى الله سبحانه، فإذا وقع ذلك في كلام المعصوم، وهو منبع البلاغ ومعدن الفصاحة والبراعة، بَانَ أن الملة لا تختص بالإضافة إلى غير الله، بل تضاف إليه أيضا.

77 - سورة آل عمران: جزء من الآية 95 .

78- معجم الفروق اللغوية (511-510)، (رقم الفرق 2062).

79- الطحاوي: بيان مشكل الآثار، باب بيان مشكل ما روي عن رسول الله عليه السلام في اكتتابه على كل بطن عقوله، (رح 5986).

80- معجم الفروق اللغوية: الفرق رقم 2062 بين الملة والدين.

ويفرق الإمام القرطبي (تـ671هـ) بينها وبين الدين وبين الشريعة بقوله: «والدين ما فعله العباد عن الملة، والشريعة ما دعا الله عباده إلى فعله أو تركه»⁸¹.

فالدين إذا أفرد وأطلق فالمراد به الإسلام، وذلك بخلاف الملة، حيث إذا أفرد لم تنصرف إلى الإسلام، بل إلى ما يشير إليه السياق.

81- القرطبي: الجامع لأحكام القرآن: 94/2 .

جدول بأهم الفروق بين الملة والدين

الدين	الملة
ما يتبع من طريقة بخضوع وتسليم	الطريقة الثابتة
اسم لما يطاع	اسم للشرائع اجتماعا
ما يدان به ويتبع	ما يملى ويكتب
يضاف إلى الله وإلى النبي عليه السلام وإلى آحاد الأئمة	الملة لا تضاف إلا إلى النبي الذي تسند إليه (هذا فيه نظر)
يستعمل في جملة الشرائع وفي آحادها	لا تستعمل إلا في جملة الشرائع
يفيد ما يذهب إليه الإنسان	تقيد استمرار أهلها عليها
ما فعله العباد	ما دعا الله إليه العباد.

المبحث الثاني: تعريف قيد الإبراهيمية في اللغة والاصطلاح

إن لفظ "الإبراهيمية"⁸² تقيد للملة، فنسبت إلى إبراهيم عليه السلام وتوسّل بباء النسبة، وتعريفه يكون بتعريف المنسوبة إليه، وهو سيدنا إبراهيم، ولقد هممت في بداية البحث أن أفرد فصلا أتحدث فيه عن سيرته بتفصيل في محطاتها الكبرى، وأتعب خطواته في رحلاته ودعوته الأولى، وغير ذلك مما إذا استجمع كوّن لنا صورة جلية المبادي، واضحة الملامح، ولكن لما التصقت بالكتب وفتحت فهارسها وجدت الكثير من البحوث التي درست حياته تاريخيا، إن على

82- يرجع في تحديد مدلول إبراهيم إلى موسوعة العقاد: كتاب إبراهيم أبو الأنبياء،/ ودائرة المعارف لبطرس البستاني [208/1]،/ والمعرّب للجواليقي [ص61]،/ وفتح المنان: بيان الرسل التي في القرآن" لأحمد السجاعي[ص48]،/ واللغات في القرآن لابن عباس، جمع وت. صلاح المنجد [ص18]/ من كنوز القرآن: الأعلام الأعجمية في القرآن لعبد الفتاح الخالدي [ص41].

الإفراد وإنْ على الأبواب، فغضضت الطرف عن ذلك لأنه خارج عن مقاصد التأليف، وما نأى عنها لا يعدو أن يكون تخسيرا للكاغد.

كما أعلن مسبقا أنني لن أستطيع أن أعرف به على الوجه اللائق به، إلا أنه "ما لا يدرك كله لا يترك جله"، ومن هذا المنزع سأعرض لمعالم كثيرة من حياته مما له مساس بملته عليه السلام في ثنايا هذا البحث، وأكتفي هنا برسم الصفحات الكبرى من حياته عليه السلام والمحطات البارزة منها على وجه الاختصار:

ولهذا الموجب سأقتصر في هذا المقام على ما به تعلق بموضوع بحثنا، فعلى الله التكلان:

المطلب الأول: مع التداول القرآني والحديثي:

الفرع الأول: التداول القرآني:

✓ ورد لفظ إبراهيم في القرآن الكريم ثلاثا وستين (63) مرة، ضمن خمس وعشرين سورة (25) من أصل مئة وأربعة عشر (114) سورة.

سورة البقرة 12 مرة.	سورة النحل مرتان.	سورة الشورى مرة.
سورة آل عمران 7 مرات.	سورة مريم 3 مرات.	سورة الزخرف مرة.
سورة النساء 4 مرات.	سورة الأنبياء 4 مرات.	سورة الذاريات مرة.
سورة الأنعام 4 مرات.	سورة الحج 3 مرات.	سورة النجم مرة.
سورة التوبة مرتين.	سورة الشعراء مرة.	سورة الحديد مرة.
سورة هود 4 مرات.	سورة العنكبوت مرتان.	سورة الممتحنة مرة.
سورة يوسف مرتان.	سورة الأحزاب مرة.	سورة الأعلى مرة.
سورة إبراهيم مرة.	سورة الصافات 3 مرات.	
سورة الحجر مرة.	سورة ص مرة.	

✓ سميت باسمه السورة الخامسة والثلاثون (35) حسب الترتيب المعروف .

✓ هذه الآيات المذكورة مراجعها إنما هي فقط التي ذكرته باسمه، وهذا يجعلنا لا نكتفي بها في الكشف عنه عليه السلام وعن ملته، وإلا فستكون نظرتنا ناقصة يعترها القصور⁸³، لذلك فبحثنا هذا سيشمل الآيات التي تعرضت للحديث عنه قصداً أو عرضاً، والتي ذكرته اسماً أو إضماراً، فيكون مجموع هذه الآيات حوالي مئة وتسعين آية (190)⁸⁴ من أصل ست آلاف ومئتين وست وثلاثين (6236) آية، أي بمعدل 3% من آيات القرآن الكريم⁸⁵، وقصة إبراهيم عليه السلام ذكرت في خمسة وعشرين سورة .

الفرع الثاني: التداول الحديثي:

لقد وقع الحديث عن إبراهيم عليه السلام في الحديث النبوي الشريف، بل أكثر من القرآن الكريم، إذ الحديث هو مظنة التفصيل، وهو العائد إلى رفع الإشكال والتحليل، لكن تعترض الكشف عن إبراهيم عليه السلام صعوبات تقف حاجزاً عن بناء تصور شمولي وكامل لهذه الشخصية الفذة، ومن تلك الصعوبات:

- ✓ سعة مادته مما يجعل تتبعها كلها في مواردها شبه مستحيل.
- ✓ ظنية ثبوت الأحاديث ودلالاتها⁸⁶ إلا ما تواتر منها⁸⁷ وهو قليل جداً بالنسبة للمجموع.

83- ومنه فإن الاكتفاء بالمعاجم المفهومة لألفاظ القرآن غير نافع في هذا الباب، فهو مرهونة بالألفاظ الظاهرة.

84- عدد الآيات قد يزيد أو ينقص حسب معيار الدراسين، فهناك من يخرج الآيات التي تتحدث عن ابنه إسماعيل وإسحاق عليهما السلام إلا ما التصق به، وهناك من يدخلها، وإن حاولت الاستقصاء ما أمكن، فإنه مهما توسعت المادة العلمية توسع التصور، ولأن أتوسع أفضل لي من أن أنقص فأجتزئ.

85- حضور سيدنا إبراهيم عليه السلام في القرآن الكريم بالنسبة إلى الأنبياء السابقين قوي [ذكر في القرآن 69 مرة]، فهو في الرتبة الثانية بعد موسى عليه السلام من حيث الذكر [موسى ذكر في القرآن 131 مرة]، وهو أكثر حضوراً من عيسى عليه السلام [ذكر في القرآن 25 مرة] ويوسف [ذكر في القرآن 26 مرة] وغيرهم، عليهم السلام جميعاً.

86- في حين أن القرآن يُنظر فيه من حيث الدلالة فقط، أما حجية ثبوته فهي قطعية بالتواتر المفيد العلم.

87- ومما صنف فيها كما يذكر المحدث المغربي محمد بن جعفر الكتاني (ت1345هـ): «ومنها كتب مفردة في جمع أحاديث بعض أنواع الحديث ككتب الأحاديث المتواترة التي منها:

- "الفوائد المتكاثرة في الأخبار المتواترة" للسيوطي .

- ومختصره المسمى بـ "الأزهار المتناثرة في الأخبار المتواترة" له أيضاً، ضمنه على ما قال مائة حديث .

- و"اللآلئ المتناثرة في الأحاديث المتواترة" لشمس الدين أبي عبد الله محمد بن محمد بن طولون الدمشقي الحنفي (ت953هـ).

- ✓ تعدد روايات المشهور⁸⁸ منها، بله العزيز كالصحائف لعمر بن العاص وابنه عبد الله وعلي بن أبي طالب (ت40هـ) رضي الله عنهم أجمعين.
- ✓ احتمال أن تكون من الإسرائيليات الدخيلة، ومع هذه ترتفع العصمة وبالتالي يدخلها احتمال الكذب. وأنا سأحاول أن اعتمد في الاستدلال على قضايا البحث بما صح من حديث، وكان ظاهره السلامة، كما أخرج الأحاديث لأبرأ من الحديث، والعلماء يقولون: «من أسند لك فقد حملك».

- و"لفظ اللآئى المتناثرة في الأحاديث المتواترة" لأبي الفيض محمد مرتضى الحسيني الزبيدي، لخص فيه كتاب ابن طولون.
- و"نظم المتناثر من الحديث المتواتر" لجامع هذه الرسالة [أي صاحب الرسالة المستطرفة] ضمنه ثلاثمائة حديث وعشرة أحاديث مما هو متواتر لفظاً أو معنى إلى غير ذلك» [الرسالة المستطرفة، باب كتب مفردة في جمع أحاديث بعض أنواع الحديث].
- 88- وهو الذي اشتهر بين الناس ولم يبلغ حد التواتر، وتجدر الإشارة هاهنا أن الشهرة لا تعني دائماً الصحة فكم من حديث مشهور وصفته الضعف أو القطع، بل هو كثير منه جرى على ألسنة الناس دون أن يحققوا فيه الحديثية، وعني بعضهم بجمع هذه الأحاديث في مؤلفات، ومنها:
- «المقاصد الحسنة في بيان كثير من الأحاديث المشتهرة على الألسنة» للحافظ شمس الدين أبي الخير محمد بن عبد الرحمن السخاوي.
- واختصارها لتلميذه أبي الضياء عبد الرحمن بن الديع الشيباني، وهو المسمى ب"تميز الطيب من الخبيث في ما يدور على الألسنة من الحديث".
- ولبعضهم وهو المسمى ب"الدرة اللامعة في بيان كثير من الأحاديث الشائعة". (ت1122هـ) ولأبي عبد الله محمد بن عبد الباقي بن يوسف بن أحمد بن علوان الزرقاني المصري المالكي له عليها مختصران: كبير وصغير، وهو "المتداول والوسائل السننية من المقاصد السخاوية".
- و"الجامع والزوائد الأسبوطية" لأبي الحسن علي بن محمد المنوفي بلدا المصري مولدا المالكي، وهو شارح:
- "الرسالة المشهورة والتذكرة في الأحاديث المشتهرة" لبدر الدين الزركشي.
- و"الدرر المنتثرة في الأحاديث المشتهرة" للسيوطي لخصه من التذكرة للزركشي وزاد عليه.
- و"البدر المنير في غريب أحاديث البشير النذير" نحو من ألفين وثلاثمائة حديث مرتبة على حروف المعجم للقطب سيدي عبد الوهاب بن أحمد بن علي الشعراني المصري الشافعي الأنصاري (ت973هـ)، انتخبها من:
- "جوامع السيوطي مع المقاصد الحسنة والغماز على اللماز" لجلال الدين السمهودي.
- و"تسهيل السبيل إلى كشف الالتباس عما دار من الأحاديث بين الناس" للشيخ عز الدين محمد بن أحمد الخليلي القادري (ت1057هـ).

و"أسنى المطالب في أحاديث مختلفة المراتب" للشيخ الإمام أبي عبد الله محمد بن درويش الحوت البيروتي.

[الرسالة المستطرفة: باب كتب في الأحاديث المشهورة على الألسنة].

المطلب الثاني: اشتقاق الاسم ونسب إبراهيم ونشأته

الفرع الأول مع اشتقاق الاسم:

إن لفظ "إبراهيم" مركب من قسمين: «آب - راهام ومعناه "أب رحيم" وكان اسمه من قبل (آبرام) أي (أب الأمم) ولأنه أواه كثير الجزع سمّاه الله "إبراهيم" وهو أبو الأنبياء؟»⁸⁹.

ولا أريد أن أدخل نفسي في مسألة عربية القرآن أم عجميته، ولا في الخلاف القائم بين العلماء⁹⁰، وعلى كل فالراجح أن أصله سرياني أو عبراني:

✓ فهو سرياني بمعنى: "أب رحيم".

✓ وفي العبرانية مركب من كلمتين: "أب" أي أب و"راهام" أي الجماعة أو الجمهور أو العدد الكبير، كـ"راهام" بالعربية⁹¹.

☞ وعلى هذا يكون معناه: أب جمهور أو عدد كثير.

وقيل مشتق من "البرهمة"، وهي: شدة النظر وإدامته وسكون الطرف، وعلى هذا الاستمداد الأخير يكون اسم "إبراهيم" لفظاً عربياً بالأصالة.

ويذكر العلامة عبد الرحمن بن الجوزي أبو الفرج (تـ597هـ) أن إبراهيم عليه السلام قد «تكلّمت به العرب على وجوه، قالوا: إبراهيم، وإبراهام⁹²، وإبراهم⁹³، وبرهم⁹⁴».

89- معاني أسماء الأنبياء: ابن الشريف (مدير موقع لماذا الإسلام لصد التنصير ونصرة التوحيد).

90- للاستفصال ينظر: العلامة أبي الفرج عبد الرحمن بن الجوزي (تـ597هـ): "فنون الأفنان في عيون علوم القرآن، تح. د. حسن ضياء الدين عتر، دار البشائر الإسلامية-بيروت، ط1، 1987/1408، (من ص341 إلى ص352).

91- ترتيب القاموس المحيط: طاهر أحمد الزاوي 403/2

92- إبراهيم وقعت في قراءة هشام عن ابن عامر حيثما وقع اسم إبراهيم.

93- إبراهيم وقعت في رجز لزيد بن عمرو بن نفيل:

عذت بما عاذ به إبراهيم **** مستقبل الكعبة وهو قائم

94- فنون الأفنان في عيون علوم القرآن، تح. حسن ضياء الدين عتر، دار البشائر الإسلامية، ط1، 1987/1408، ص346.

وللمزيد من التوسع في أعلام القرآن يرجع إلى كل من:

- "المعرب من الكلام العجمي" لموهوب بن أحمد الخضر الجواليقي (تـ540هـ)، دار الكتب المصرية، ط2، 1969/1389.

- وأفرد الإمام السيوطي كتاباً في إتقانه سماه: "المهذب فيما وقع في القرآن من المعرب".

والوجه الأول نسبه الشيخ ابن عاشور إلى الجمهور حيث يقول: إنه: «لم يقرأ جمهور القراء العشرة إلا بالأولى [يقصد بـ إبراهيم] وقرأ بعضهم بالثانية [يقصد بـ إبراهيم] في ثلاثة وثلاثين موضعاً [...]»، ومع اختلاف هذه القراءات فهو لم يكتب في معظم المصاحف الأصلية إلا إبراهيم بإثبات الياء»⁹⁵.

وقد يرد لفظ إبراهيم بألفاظ أخرى وأوزان مباينة للأول، ومن ذلك: إبراهيم، وأبرام، وبرهم....، وتصغيره: بُرَيْةً، أو أُبَيْرَةً، أو بُرَيْهَمٌ....، ويجمع على: أباره، وأباريه، وأبارهه، براهم، براهم، براهمة⁹⁶، براه....

و"إبراهيم" بـ "العبرية"⁹⁷: אַבְרָהָם، ويعني فيها: الأب في الأعلى، وفي "السريانية" أب رحيم، ومعنى إبراهيم في "العربية" كثير التأمل وإطالة النظر وكان يطيل التأمل في السماء حتى تبين له الحق .

- د.صلاح عبد الفتاح الخالدي: "الأعلام العجمية في القرآن"، ضمن سلسلة من كنوز القرآن ، دار القلم-دمشق، ط1، 2006/1427.

95- التحرير والتنوير [الآية 124 من سورة البقرة]، ثم حكى أقوال القراء فقال: «قال أبو عمرو الداني: لم أجد في مصاحف العراق والشام مكتوباً إبراهيم بميم بعد الهاء، ولم يكتب في شيء من المصاحف إبراهيم بالألف بعد الهاء على وفق قراءة هشام ، قال أبو زرعة سمعت عبد الله بن ذكوان قال: سمعت أبا خلود القاريء يقول في القرآن ستة وثلاثون موضعاً إبراهيم قال أبو خلود: فذكرت ذلك لمالك بن أنس فقال: عندنا مصحف قديم فنظر فيه ثم أعلمني أنه وجدها فيه كذلك، وقال أبو بكر بن مهران: روى عن مالك بن أنس أنه قيل له: إن أهل دمشق يقرؤون إبراهيم ويدعون أنها قراءة عثمان رضي الله عنه، فقال مالك: ها مصحف عثمان عندي ثم دعا به فإذا فيه كما قرأ أهل دمشق» .

96- ويجب أن لا ينتج الفكر إلى أن هناك علاقة أو تشاكلا أو تطابقاً مع فرقة تدعى البراهمة أو البرهمية أو الهندوكية، التي تتكر النبوة، وتشيد بالعقل، أطلق عليهم هذا الاسم ابتداء من ق.م. 8. نسبة إلى "براهما" (الإله الخالق) أو القوة العظيمة السحرية الكامنة التي تطلب كثيراً من العبادات، كقراءة الأدعية وإنشاد الأناشيد وتقديم القرابين، ومن اسم برهما اشتقت كلمة البراهمة، لتكون علماً على رجال الدين الذين كان يعتقد أنهم يتصلون في طبائعهم بالعنصر الإلهي، وهم لهذا كانوا كهنة الأمة، لا تجوز الذبائح إلا في حضرتهم وعلى أيديهم.

[للتوسع ينظر: محمد عبد السلام: فلسفة الهند القديمة: ثقافة الهند، د.ط، 1953، ص19/أديان الهند الكبرى لأحمد شلبي، مكتبة النهضة، 1976، ص39، د.مصطفى حلمي: الإسلام والأديان: دراسة مقارنة، دار الجوزي- القاهرة، ط1، 2005/1426] .

97- وبالإنجليزية: Abraham .

إني أعلن مسبقاً أنني لن أستطيع أن أعرف به على الوجه اللائق به، إلا أنه ما لا يدرك كله لا يترك جله، ومن هذا المنزاع سأعرض لمعالم كثيرة من حياته مما له مساس بملته عليه السلام في ثنايا هذا البحث حسب ما يقتضيه السياق، وأكتفي هنا برسم الصفحات الكبرى من حياته عليه السلام والمحطات البارزة منها على وجه الاختصار:

الفرع الثاني: مع نسب إبراهيم ونشأته:

أ- مع نسب إبراهيم

حسب ما تحكيه التوراة فإن نسبه يصل إلى سيدنا نوح شيخ الأنبياء، إذ فيه أن: «إبراهيم بن تارح(250)، بن ناحور(148) بن سروج(230) بن رعو(239) بن فالج(439) بن عابر(464) بن شالح(433) بن أرفخشذ(438) بن سام(600) بن نوح»⁹⁸ ⁹⁹. وذكر الحافظ ابن عساكر أن اسم أم إبراهيم هو: "أميلة"¹⁰⁰.

98- تشدد التوراة على أن أبا إبراهيم ينتهي نسبه إلى نوح عليه السلام، بل وتشير أنه عاصره 58 سنة، وهو فرق ما بين ولادة إبراهيم عليه السلام -كما تذكر التوراة- أنه ولد عام 1948 ق.م، ووفاة نوح سنة 2006 عليه السلام ق.م. - وفي السفر الذي يسمى التكوين الصغير، نجد أن نوحا توفي بأرض الكلدانيين سنة 1650 ق.م، وولد إبراهيم 1876 ق.م.

وهذا الاختلاف هو السمة البارزة في الكتاب المقدس، سواء في التواريخ كما هاهنا، أو في الأسماء كاختلافها في اسم "سارة" حيث يطلق عليها هذا الاسم، ويطلق عليها في كتب المدراس وحواشيها اسم "إكساح". - وما قد يفهم من قوله تعالى: ﴿وَإِنَّ مِنْ شِيعَتِهِ لَإِبْرَاهِيمَ﴾ [سورة الصافات: الآية 83]، والضمير يعود إلى نوح عليه السلام، أنه من نسله، فليس بمراد، بل المقصود -كما هو عند كثير من المفسرين والمحققين- أنه من أصحاب التوحيد، وذلك نحو قوله تعالى: ﴿ذُرِّيَّةً مِنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ إِنَّهُ كَانَ عَبْدًا شَكُورًا﴾ [سورة الإسراء: الآية 3]، ومعلوم أن ابنه من ذريته لكن لم يحمله معه لأنه ليس من ذريته في التوحيد، ﴿قَالَ يَا نُوحُ إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ﴾ [سورة هود: جزء من الآية 46]، ومنهم الطبري والعز بن عبد السلام وابن كثير وابن عاشور ومن المحدثين أسعد حومد في أيسر التفاسير، [في تفاسيرهم عند الآية 83 من سورة الصافات].

ومما يؤكد ذلك أيضا قوله تعالى: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ مِنْ ذُرِّيَّةِ آدَمَ وَمِمَّنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ وَمِنْ ذُرِّيَّةِ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْرَائِيلَ وَمِمَّنْ هَدَيْنَا وَاجْتَبَيْنَا إِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُ الرَّحْمَنِ خَرُّوا سُجَّدًا وَبُكِيًّا﴾ [سورة مريم: الآية 58]، حيث المراد من قوله تعالى: ﴿وَمِمَّنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ﴾ وإبراهيم عليه السلام، ولم تذكر فيه "ومن ذرية" كما ذكرت مع آدم وإبراهيم رضي الله عنهما.

لكن ذهب الإمام البخاري (ت516هـ) إلى تقديرها فقال: «ومن ذرية من حملنا مع نوح في السفينة، يريد إبراهيم؛ لأنه ولد من سام بن نوح» [معالم التنزيل، الآية 58 من سورة مريم: 58].

99- تك 11 : 10-27 .

وروى ابن عساكر (ت571هـ) وقبله أبو نعيم (ت430هـ) من غير وجه عن عكرمة أنه قال: «كان إبراهيم عليه السلام يكنى "أبا الضيفان"»¹⁰¹.

ولقد تباين اسما أبي إبراهيم في الرواية التوراتية والآيات القرآنية، كما تعرض سلف علمائنا لطرف من ذلك، حيث جمع الإمام الطبري (ت310هـ) بين الأقوال¹⁰²، فقال بعدما حكاهما: «والصواب أن اسمه "آزر"، ولعل له اسمان علمان، أو أحدهما لقب والآخر علم»¹⁰³، وهو ما رجحه الحافظ عماد الدين بن كثير (ت774هـ) إذ قال: «هذا يدل على أن اسم أبي إبراهيم آزر، [...] وهذا الذي قاله [يقصد ابن جرير] محتمل»¹⁰⁴.

ب- مع نشأته:

يزعم الطبري أنه ولد في أور الكلدانيين¹⁰⁵ سنة 1996 ق.م، وهذا ما نفتته أخيرا البحوث [الأركيولوجية]¹⁰⁶ وما اكتشفه علماء الآثار، حيث تقول: إن عهد إبراهيم كان في السابع عشر¹⁰⁷،

100- تاريخ دمشق: 167/6.

101- أبو نعيم أحمد بن عبد الله الأصبهاني: حلية الأولياء وطبقات الأصفياء: ، دار الكتاب العربي - بيروت، ط4، 1405، مسند عكرمة مولى ابن عباس، 336/3 .

102- الأول: ما جاء في القرآن أنه آزر، والثاني لجمهور أهل النسب-منهم ابن عباس- أنه "تارح"، والثالث لأهل الكتاب أنه تارخ[قصص الأنبياء: ابن كثير: ص172] بينما نقل صاحب بدائع الزهور عن الحافظ السهيلي أن: «آزر عمه ولم يكن أباه»[ص90].

103- الإمام الطبري: جامع البيان في تأويل آي القرآن ، تح. صدقي جميل العطار، 1415هـ/1995م، دط، الآية 174 من سورة الأنعام، (159/7).

104- ابن كثير: قصص الأنبياء: ص172 .

105- يذكر الطبري في "تاريخ الأمم والملوك" أنه: «ولد في بابل، وهي بين دجلة والفرات، وهي التي يقال عنها السواد» [162/1]، ومنه أرض السواد، وفي زمن إبراهيم كانت حضارة بابل هي المسيطرة في العراق.

106- مصطلح معرب عن اللفظ اللاتيني: (Archaeology) ويقصد به علم الآثار، وهو فرع من فروع الأنثروبولوجيا الذي يركز على المجتمعات والثقافات البشرية الماضية وليس الحاضرة. ويدرس (تحديداً) المصنوعات الحرفية كـ"الأدوات، الأبنية، الأوعية..." أو ما بقي منها، والتي استمرت بالتواجد للوقت الحاضر، وأيضاً الأحافير الإنسانية، وتنتظر إلى البيئات الماضية، لكي يفهم مدى تأثير القوى الطبيعية كـ"المناخ والطعام المتواجد" [على سبيل المثال] على تشكيل الثقافة الإنسانية .

ثم انتقل به والده إلى أرض كنعان¹⁰⁸ فأقاموا بحاران¹⁰⁹، ثم خرج منها لقطع أصاب حاران فدخل مصر وزوجه سارة¹¹⁰ (٧٦٦)، وهناك رام ملك مصر افتكك سارة، فرأى آية صرفته عن مرأهه، فأكرمها وأهداها جاريةً مصريةً "اسمها هاجر" (٦٦٦) وهي أم ولده إسماعيل (٧٦٦)، وسماه الله بعد ذلك إبراهيم، وأسكن ابنه إسماعيل وأمه هاجر بوادي مكة ثم لما شب إسماعيل بنى إبراهيم البيت الحرام هناك.

وتوفي إبراهيم عليه السلام سنة 1773 ثلاث وسبعين وسبعمئة وألف قبل ميلاد المسيح¹¹¹، والفرق بين التاريخين نستشف منه أنه عاش 223 سنة، وهذا العمر غير متفق عليه بين العلماء، سواء منهم المسلمين¹¹² أو الكتابيين.

كما يدرس بعض الأركيولوجيين الثقافات التي تواجدت قبل تطور الكتابة، أي في فترة "ما قبل التاريخ (prehistory)، إن الدراسة [الأركيولوجية] لحقبات تطور البشرية منذ التواجد البشري وحتى فترة تصل إلى عشرة آلاف عام قبل الميلاد [أي حتى بدء الثورة الزراعية، تدعى "باليوأنثروبولوجي (Paleoanthropology) "علم الإنسان القديم. أما دراسات حقبات زمنية أحدث، من خلال البقايا المادية والوثائق المكتوبة، فتدعى: "الأركيولوجيا التاريخية". ويدخل البحث في الآثار التي يمكن أن يكون قد خلفها إبراهيم عليه السلام، من هذا القبيل.

107- حسب دائرة المعارف للبستاني، (مادة إبراهيم).

108- وهي أرض الفينيقيين.

109- وهي حوران.

110- اختلفت التوراة في قرابة سارة بزوجه إبراهيم عليه السلام، فتارة هي أخته غير شقيقة، وتارة هي بنت أخيه الذي مات قبل الهجرة إلى كنعان [وهو هاران(ت: ١١١)].

111- ابن عاشور: التحرير والتنوير: الآية 124 من سورة البقرة.

112- يذكر محيي الدين بن عربي: أن إبراهيم عليه السلام «مات وله 175 سنة قبل أن تموت سارة بسبع سنوات» في كتابه: "محاضرة الأبرار ومسامرة الأخيار"، تح. محمد عبد الكبير النمري، دار الكتب العلمية، ط2، 1428/2008: (94/1).

خاتمة:

بعدما تعرضنا لحدي التركيب الإسنادي، يأتي مقام تعريف التركيب على أنه لقب على مسمى، فنقول: «إن الملة الإبراهيمية هي مجموع العقائد والأعمال التي التزمها سيدنا إبراهيم عليه السلام كطريقة يتبعها وينقاد لها زلفى إلى الله عز وجل».

وإذا أنعمنا النظر في حقيقة الملة نجدها تتجاوز مفهوم الدين والشرعة لتشمل كل أضرب الطرق الموصلة إلى الكمال الإنساني، والآخذة بيده إلى شط الأمان، حتى يحقق خلافة الله في أرضه على الوجه المرضي من قبله عز وجل، ماجعله يستحق التكريم الإلهي له المخبر عنه في القول المحكم: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا﴾¹¹³، فمقتضى تفضيل بني آدم على كثير ممن خلقه الله تعالى تفضيلاً يوجب أن يتحمل الإنسان الأمانة -المعروضة على السماوات والجال الآبين أن يحملنها- على الوجه الأحق والأكمل، وأن يردّها إلى أهلها كما أخذها ضاربة في علباء الشرع وأفق الإحكام من خلال تمثلها، حتى تصير سارية فيه مسرى الدم في الجسد.

فإذا تحقّق مفهوم الملة الإبراهيمية، فيشرع باب البحث في أصولها وخصائصها، وهو ما سيبيكون موضوع المقال اللاحق بحول الله تعالى.

113- سورة الإسراء: الآية 70.

*مسرد المصادر والمراجع:

- 📖 الأدب المفرد: محمد بن إسماعيل أبو عبد الله البخاري الجعفي، تح. محمد فؤاد عبد الباقي، دار البشائر الإسلامية-بيروت، ط3 ، 1409/1989.
- 📖 أديان الهند الكبرى لأحمد شلبي، مكتبة النهضة، دط، 1976.
- 📖 أساس البلاغة، لأبي القاسم محمود بن عمرو بن أحمد الزمخشري جار الله، طبعة مصر، دط، 1882هـ .
- 📖 الإسلام والأديان: دراسة مقارنة، د.مصطفى حلمي، دار الجوزي- القاهرة، ط1، 1426/2005.
- 📖 الأعلام العجمية في القرآن" (سلسلة من كنوز القرآن) للد.صلاح عبد الفتاح الخالدي، دار القلم- دمشق، ط1، 1427/2006.
- 📖 بدائع الزهور في وقائع الدهور، للشيخ محمد بن أحمد بن إياس الحنفي، دار الرشاد الحديثة، الدار البيضاء، 1425هـ-2005م
- 📖 بيان مشكل الآثار" لأبي جعفر أحمد بن محمد بن سلامة الطحاوي (ت321هـ) تح. شعيب الأرناؤوط، دار الرشاد-الرياض، ط2 2006.
- 📖 تاج العروس من جواهر القاموس: محمد بن محمد بن عبد الرزاق الحسيني، أبو الفيض، الملقب بمرتضى، الزبيدي . تح. مجموعة من الباحثين، دار الهداية، دط، دت .
- 📖 تاريخ الأمم والرسائل والملوك: محمد بن جرير الطبري، دار الكتب العلمية-بيروت، ط1، 1407هـ.
- 📖 التحرير والتتوير والتحري والتتوير من التفسير" لمحمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي (ت1393هـ)، الدار التونسية، دط، دت .
- 📖 ترتيب القاموس المحيط: للفيروزآبادي، طاهر أحمد الزاوي الطرابلسي، دار عالم الكتب، دط، 1996م .
- 📖 التعريفات للجرجاني، تح. إبراهيم الأبياري، دار الكتاب العربي-بيروت: 2002، د ط.
- 📖 تفسير القرآن العظيم" لابن كثير، تح.محمود حسن دار الفكر، الطبعة الجديدة، 1414هـ/1994م.
- 📖 تهذيب اللغة أبو منصور محمد بن أحمد الأزهرى (ت370هـ) ، تح. محمد عوض مرعب، دار إحياء التراث العربي-بيروت، ط1- 2001م.

- 📖 التوقيف على مهمات التعاريف: محمد عبد الرؤوف المناوي، تح. د. محمد رضوان الداية، دار الفكر المعاصر، دار الفكر-بيروت، دمشق: ط1، 1410.
- 📖 جامع البيان في تأويل آي القرآن للإمام الطبري، تح. صدقي جميل العطار، 1415هـ/1995م.
- 📖 الجامع الصحيح (السنن) لمحمد بن عيسى أبو عيسى الترمذي السلمي، تح. أحمد محمد شاكر وآخرون، الأحاديث مذيلة بأحكام الألباني عليها، دار إحياء التراث العربي - بيروت، دط، دت .
- 📖 الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله ﷺ وسننه وأيامه (صحيح البخاري)، لمحمد بن إسماعيل البخاري، دار السلام - الرياض، ط3، 1427هـ.
- 📖 الجامع لأحكام القرآن للقرطبي، دار الكتب العلمية-بيروت، 1413هـ/1993، دط.
- 📖 جمهرة اللغة: ابن دريد (ت321هـ)، تح. رمزي البعلبكي، دار العلم للملايين، ط1، دت .
- 📖 حلية الأولياء وطبقات الأصفياء: أبو نعيم أحمد بن عبد الله الأصبهاني، دار الكتاب العربي - بيروت، ط4، 1405.
- 📖 دائرة المعارف "لبطرس البستاني، طبعة بيروت، دط، 1876.
- 📖 الدين: بحوث ممهدة لدراسة تاريخ الأديان": د. محمد عبد الله دراز، دار المعرفة الجامعية - الإسكندرية، 1990م.
- 📖 الرموز على الصحاح: محمد بن السيد حسن، تح. محمد علي عبد الكريم الرديني، دار أسامة - دمشق، ط1، 1986.
- 📖 الرسالة المستطرفة لبيان مشهور كتب السنة المشرفة: محمد بن جعفر الكتاني (ت1345)، تح. حفيد المؤلف محمد المنتصر بن محمد الزمزمي، دار البشائر، ط5، 1414 هـ.
- 📖 روح المعاني: الألوسي، دار إحياء التراث العربي-بيروت، دط ودت.
- 📖 سلسلة من كنوز القرآن: "الأعلام العجمية في القرآن" د. صلاح عبد الفتاح الخالدي، دار القلم - دمشق، ط1، 1427/2006.
- 📖 السنن الكبرى: البيهقي، تح. محمد عبد القادر عطا، مكتبة دار الباز - مكة المكرمة ، 1414 / 1994.

📖 السنن: سليمان بن الأشعث أبو داود السجستاني الأزدي، تح. محمد محيي الدين عبد الحميد، مع الكتاب: تعليقات كمال يوسف الحوت، والأحاديث مذيلة بأحكام الألباني عليها، دار الفكر-بيروت دت.

📖 شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد لابن أبي الحديد، تح. محمد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية عيسى البابي الحلبي وشركاؤه، (ج1).

📖 الصحاح: إسماعيل بن حماد الجوهري (ت393هـ) تح. أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين-بيروت، ط4، 1407هـ/1987 م

📖 غريب الحديث: حمد بن محمد بن إبراهيم الخطابي البستي، تح. عبد الكريم إبراهيم العزباوي أبو سليمان، جامعة أم القرى-مكة المكرمة، 1402هـ.

📖 فتح المنان: بيان الرسل التي في القرآن لأحمد السجاعي الأزهرى الشافعي (ت1197هـ)، وهو شرح لنظمه "نظم في بيان الرسل التي في القرآن وترتيبهم، طبع هذا الشرح مع "مفحات القرآن في مبهمات القرآن" للجلال السيوطي، المطبعة التجارية، ط1، 1326هـ.

📖 فلسفة الهند القديمة: ثقافة الهند، لمحمد عبد السلام، د.ط، 1953.

📖 فنون الأفنان في عيون علوم القرآن للعلامة أبي الفرج عبد الرحمن بن الجوزي (ت597هـ)، تح. د.حسن ضياء الدين عتر، دار البشائر الإسلامية-بيروت، ط1، 1408/1987.

📖 فنون الأفنان في عيون علوم القرآن، تح. حسن ضياء الدين عتر، دار البشائر الإسلامية، ط1، 1408/1987.

📖 القاموس المحيط: محمد بن يعقوب الفيروز آبادي مجد الدين، المحقق محمد نعيم العرقسوسي، مؤسسة الرسالة، ط8، 1426/2005.

📖 قصص الأنبياء: لابن كثير، دار النبلاء-عمان، تح. أبو أسامة سليم بن عيد الهلالي، ط1، 1423هـ/2002م. كشف اصطلاحات الفنون والعلوم: التهانوي، مكتبة لبنان ناشرون-بيروت، 1996، د.ط.

📖 الكليات: أبو البقاء أيوب بن موسى الحسيني الكفومي، فصل الدال: (1/694) (2/327)، تح. عدنان درويش-محمد المصري، مؤسسة الرسالة-بيروت، 1419هـ - 1998م.

📖 لسان العرب لابن منظور: دار صادر-بيروت، ط3، 1414هـ-1994م

- 📖 اللغات في القرآن" لإسماعيل بن عمرو المقرئ بسنده إلى ابن عباس، تح. صلاح الدين المنجد، مطبعة الرسالة- القاهرة، ط1، 1365 / 1946.
- 📖 محاضرة الأبرار ومسامرة الأخيار"، محيي الدين بن عربي تح. محمد عبد الكبير النمري، دار الكتب العلمية، ط2، 1428/2008.
- 📖 المحكم والمحيط الأعظم: أبو الحسن علي بن إسماعيل بن سيده المرسى (ت458هـ) تح. عبد الحميد هنداي، دار الكتب العلمية-بيروت، 2000م.
- 📖 المحيط في اللغة" للصاحب الكافي الكفاة أبي القاسم إسماعيل بن عباد بن العباس الطالقاني، تح. الشيخ محمد حسن آل ياسين، عالم الكتب- بيروت، ط1، 1414هـ/1994م.
- 📖 مختار الصحاح: زين الدين أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الحنفي الرازي (ت666هـ)، تح. يوسف الشيخ محمد، المكتبة العصرية-الدار النموذجية، بيروت - صيدا، الطبعة الخامسة، 1420هـ/1999م.
- 📖 المسند الصحيح المختصر من السنن بنقل العدل عن العدل عن رسول الله ﷺ (صحيح مسلم) لمسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري ، تح محمد بن فؤاد عبد الباقي، دار إحياء الكتب العربية-عيسى البابي الحلبي وشركاؤه، ط1، 1374هـ .
- 📖 مصنف" الحافظ عبد الله بن محمد بن أبي شيبه إبراهيم بن عثمان ابن أبي بكر بن أبي شيبه الكوفي العبسي (ت 235 هـ)، دار الكتب العلمية بيروت، ط1، 2000.
- 📖 معالم التنزيل: للإمام البغوي، تح. محمد عبد الله النمر - عثمان جمعة ضميرية - سليمان مسلم الحرش، دار طيبة للنشر والتوزيع، ط4، 1417 هـ / 1997 م. معجم الفروق اللغوية للعسكري، تنظيم: الشيخ بيت الله بيات ومؤسسة النشر الإسلامي، ط1، 1412، الفرق 2061، (1/299-300).
- 📖 معجم المناهي اللفظية ومعه فوائد في الألفاظ للشيخ بكر بن عبد الله أبي زيد وآخرون، دار القلم، دط، 1416 هـ.
- 📖 المعجم الوسيط: إبراهيم مصطفى، أحمد الزيات-حامد عبد القادر-محمد النجار، دار الدعوة، تح. مجمع اللغة العربية.
- 📖 معجم مفردات ألفاظ القرآن الكريم" للراغب الأصفهاني، تحشية: إبراهيم شمس الدين، دار الكتب العلمية، ط1، 1997 م.

📖 معجم مقاييس اللغة: أبو الحسين أحمد بن فارس ، تح. عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، 1399هـ / 1979م.

📖 المعرب من الكلام العجمي" لموهوب بن أحمد الخضر الجواليقي(ت540هـ)، دار الكتب المصرية، ط2، 1389/1969.

📖 مقدمة في الملل والنحل: د. ناصر القفاري، مدار الوطن للنشر، ط1، 1427 - 2006.

📖 موسوعة العقاد: كتاب إبراهيم أبو الأنبياء، دار الكتاب العربي- بيروت، ط1، 1970م .

📖 الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة: الندوة العالمية للشباب الإسلامي إشراف وتخطيط ومراجعة: د. مانع بن حماد الجهني، دار الندوة العالمية للطباعة والنشر والتوزيع، الطبعة الرابعة، 1420 هـ

📖 النقد اللغوي في تهذيب اللغة للأزهري، رسالة مقدمة لنيل درجة التخصص (الماجستير) إعداد الباحث: حمدي عبد الفتاح السيد بدران، إشراف الأستاذ الدكتور: محمد حسن حسن جبل، من جامعة الأزهر الشريف، كلية اللغة العربية بالمنصورة، قسم أصول اللغة 1420هـ/1999م .

📖 النهاية في غريب الحديث والأثر: أبو السعادات المبارك بن محمد الجزري، المكتبة العلمية- بيروت، 1399هـ / 1979م، تح. د. طاهر أحمد الزاوي/ محمود محمد الطناحي.

📖 النهاية في غريب الحديث" للمبارك بن محمد الجزري بن الأثير مجد الدين أبو السعادات، تح. طاهر أحمد الزاوي-محمود محمد الطناحي، دار إحياء الكتب العربية-عيسى البابي الحلبي وشركاؤه، ط1، 1383/1963م.